

« زائر الصباح » و « أحران الربيع »

مجموعتنا قصص بقلم : فاروق منيب

يبدو ان الهزات العنيفة التي تمر بها الشعوب كثيرا ما تعجل بابرار ما يمكن فيها من كنوز . فخلال المعارك العديدة التي خاضتها بلادنا ، ولا تزال ، منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ . الى اليوم . ظهر عدد كبير من كتاب القصة القصيرة من الشبان ذوي الوجدانات المنتجة ، والنفوس الطامحة الذين وجدوا متنفسا في التعبير بالقصة - ومن حسن الحظ ان هؤلاء الشبان الذين نبثوا في الريف وانتماوا الى الطبقات الكادحة - قد ارتكزوا بجانب مواهبهم الخاصة على تلك الدعائم التي اقامها جيل سابق من كتاب القصة ، قد نعجز عن تصور ما لاقاه من عنق ومقاساة . نذكر منهم محمود طاهر لاشين ، وصالح ذهني ، والمازني ، ويحيى حقي ، وعبد المعطي المسيري « واحمد خيرى سعيد والدكتور حسين فوزي وغيرهم » ثم من جاء بعدهم من امثال (١): - عبد الرحمن الشرفاوي ، ويوسف ادريس ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وآخرين . وبفضل أعمال هؤلاء الرواد ، وبفضل النواخذ التي تفتحت على عالم الفن الواسع فعبروا بملء رئانهم من هوائه النقي ، واستظلوا بفروع دوخته الوارفة ، وبفضل بعض الايدي الحانية التي اضاءت لهم الدروب اللتوية وجنبتهم الكثير من مزلق الطريق من امثال الاستاذ محمود أمين العالم ، والاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، والدكتور محمد مندور وغيرهم خرجوا من شرانقهم وواجهوا الحياة ببعض الاعمال التي كانت تقرا في الغرف نصف المضيئة ، او في بعض النوات كرابطة الادب الحديث ، وقد كان من هؤلاء النفر فاروق منيب الذي نتحدث في هذه المعجالة عن عمليه الاخيرين (زائر الصباح ، و احزان الربيع) ...

و اذا كان للقصة القصيرة قواعدا المتوارثة من « بداية مشوقة ، وحركة نشطة ، ونهاية موجية ومقنعة ، ومفهوم مهم يمدنا بمتعة غير عادية » (١) « لان القصة القصيرة حدث ينشأ من موقف معين ويتطور بالضرورة الى نقطة معينة يكتمل بها معنى الحدث » (٢) ، فان المدارس الحديثة التي يزخر بها العالم ، وانتهب رايحا العائية علينا - ترفض الكثير من القواعد التي ألفها الناس كآثر للتغيرات الحضارية العميقة التي طرات على العالم والتي مهد لها فرويد بنظريته عن اللبديو ، وما يخبئه اللاوعي في كهوفه الرهيبة من رغبات مكبوتة لا يبوح بها الا في الحلم ، او الجنون ، او الفن ، الذي هو لحظة من الجنون ، او لون عاقل منه . كما مهدت لها الاكتشافات الجديدة في عالم الاقتصاد ، والتطور ونظرية النسبية التي غيرت الكثير من المعتقدات العلمية الثابتة . لذلك لم تعد القصة تخضع (لقواعد العقل والمنطق) - بل أصبحت صورة للحياة المفككة المتفتتة ، وخرجت في شكل وعاء يضم كل المتناقضات التي تجعل من الحياة كومة من الاخلاط العجيبة ، وكأن الانسان ينظر الى الحياة لأول مرة ، وكأنها لفر ... (٣) كما أخذت عن الموسيقى أنتقاء الكلمات والصبارات وسرعة التأثير بالتقابل والمفارقة ، والانتقال الفجائي ، وعن الرسم .. توزيع الاضواء والظلال ، والاهتمام برسم الصور المكثفة ، واخذت عن السينما ما يعرف بالمولتاج ، عن طريق المونولوج الداخلي ، وتكنيك تداعي المعاني . ولسوف نجد ظللا لكل هذا في قصص فاروق منيب مع الاحتفاظ بشخصيته واعني بهذا - على وجه التحديد رؤيته الخاصة لا في الحياة ، فهو صاحب منهج

جدلي يستنظر الحياة من خلاله ، ويفسرها في ضوء نظريته الكلية للوجود . نعم هو كثيرا ما يختبئ في قوقعته من قسوة الحياة « في النهاية لم أجد الا قوقعتي أستعطفها » ، لان من الخارج يتنافسون على كل شيء « طحتنسي اقدمهم الفليظة ، ينظرون خروجي ليحجلوا مني مشكلة ، كل عملهم ان يحلوها ويفكوا رموزها » كما لا يحب ان يواجهه الذين يلنفون في قشورهم الزائفة ، اولئك الذين يكتبون عن مشكلات الريف وهم غارقون في الترف ، والذين يكتبون عن كل مناسبة دون ان تكون لها جنور في أعماقهم ، وهو شأن كل فنان صادق يحتاج لقدر من العزلة ليتأمل ما حوله « فضلت ان اتفرج على الطبيعة وأنا في قوقعتي ... » ومع ذلك فهو ليس معزولا عن الحياة او غير متعاطف مع الناس بل هو بنوء بأعيانهم . وحين تنقله الهموم يلجأ الى القوقعة ليستنظر عذابه في عمل فني جديد ، لذلك نجد ان موضوعات قصصه - في الغالب - مستمد من الريف الذي نشأ فيه ، كما يستمد البعض قصة « عبر » من مدينة حلوان التي كانت مفر السادة والاعيان والبعض الآخر من علاقته في العمل . وبعض قصصه يصور مواقف وطنية من خلال مشكلات فردية كقصة « خيال » التي يعالج فيها مشكلة مدرس يحاول ان يقول « لا » مرة في حياته في وجه الناظر وفي وجه النهج التقليدي الذي يلزمه بتدريس عصر اسماعيل ، ويعاقبه ان تكلم عن عرابي ورفاقه في النضال ، وفي لحظة شجاعة يتقص شخصية عرابي ، ويتمثل الناظر في صورة الخديوي ، والتلاميذ الكتيبة التي تلنف حوله وكما تخلى عن عرابي بعض انصاره تخلى التلاميذ جميعا عن الاستاذ في ساعة الحرج . وكقصة « زائر الصباح » التي يلتقي فيها بطيف الشاعر المعروف ناظم حكمت الذي يقص عليه قصة عاشق حاول ان يشق بمفرده طريقا في الجبل ليحقق رغبة حبيبته في ذلك ، فيعجز واخيرا يهتدي الى القوة التي كان غافلا عنها . قوة الجماهير حين تتحد ، وتتحرك ، وبذلك يحقق امله .

وسواء كانت الشخصيات من القرية او المدينة فهسي شخصيات مسحوفة تروح تحت جبال من الهموم والذكريات ، وتحاول ان تفك من حولها حصار الزيف فتنفل ، ويلحقها الاحباط في الغالب . وهسي شخصيات قلقة ، ربما لانها تعكس فترة الفلق الاجتماعي التي تعيشها . فالمجتمعات - تكون نهب الفلق في فترات مخاضها . فطية صبي المطبجي يهرب من قسوة العمل وربانته ليعيش لحظات مع قصة الصياد المعجوز والبحر ورغم اصراره على مواصلة القراءة والاستمتاع بالحياة الغربية ، حياة البحر الاسطورية التي تستهوي من في مثل سنه غالبا . فان المعلم في النهاية ينتصر على عطية وينتزع منه القصة قائلا « دع القصة ، واذهب الى المسبك لتحضرناء المربوطة ، كذلك يفشل عبد المقصود افندي في ان يجعل زوجته ذات الوجه العابت المتجهج ، بتسم امام المصوراتي حتى لا تخرج تقطينة وجهها الدائمة في الصورة ، اما شحاتة في قصة « قمح » فانه ينجح في تسلق الجدار ، والهبوط في الذرية لسرق ربع جوال من قمح الحاج الفولي ، ولسوء حظه يدوس على ذيل الكلب المستغرق في نومه اللذيذ فيرسل نباحا عاليا تتجاوب له كلاب القرية ، ويستيقظ النائمون ليقبضوا على شحاتة المسكين ، ولقد حاول عبد النبي الفقير الذي كان يقتني اثر شحاتة منذ خرج من المنزل معتزما السرقة . ان ينسب لنفسه الفضل في القبض على شحاتة ولكنه عجز أيضا ، وبنى العمدة - وحده - ثمرة ذلك اذ فرض على شحاتة ان يدفع له اي للعمدة خمسة جنيهات كاملة ليفرج عنه .

و اذا كان اغلب الشخصيات مسحوقا ، ومنهزما رغم الكفاح المرير اليأس ، فيهرب بعض الناس من الضيق الى الاكل او الشرب « فكلما جاعوا أكلوا ، وكلما أكلوا جاعوا » فان عسدا منها يتحقق له بعض الانتصار . من ذلك الطفل محمود ماسح الاحذية الذي ينتصر على فشله في الحصول ولو على زبون واحد طيلة اليوم بالتعلق بعربات الترام ، والافلات من أيدي الكمسارية كلما حاولت الامسك به ، وكذلك عوض بك الذي يعاني من الوحدة ، والهم ، تعود له ثقته بنفسه حين يقتل بعصاه - بعد جهد - الفار الكبير الذي ظل يقلقه لفترة طويلة ، ولعل

١ - انظر : « فجر القصة » للاستاذ يحيى حقي

٢ - مقدمة « الشهابطين الخرس » للاستاذ السحرتي

٣ - فن « القصة القصيرة » للدكتور رشاد رشدي

هذه القصة تشير ولو من بعيد السى قصة « المعجوز والبحر »
 « لهنجوي » فكلهما يسترد ثقته بنفسه بعد ان ينتصر على شيء .
 المعجوز على السمكة الكبيرة وعض بك على الفار ، وان كان اختيار
 الفار غير موفق اذ يخلو من الشفقة على انسان حطته الشيخوخة .
 وفي « نسمة هواء » تنتصر الطفلة الرقيقة « زينب » على والدتها ،
 وترتك الحجرة الصامتة رغم ما لديها من اسباب التسلية لتنهط السلم
 لتلعب مع الطفل الزلطة زكريا الذي يحرس طول اليوم كناكيت امه .
 ولعل الاحباط السابق هو الذي وشح المجموعة الاولى « زانسر
 الصباح » بفلافة من الحزن ، قد ازدادت كثافة في المجموعة الثانية
 « احزان الربيع » بسبب الشعور بالوت الذي يلقي ظله الكئيب على
 قصص هذه المجموعة ، بل - بسبب لا نعرفه - قد أصبح المؤلف لا يرى
 حتى في استشهاد الكافجين غير مأساة الموت التي تدمر كل شيء ،
 فحين يطلب منه ان يكتب عن شهداء البوليس في الاسماعيلية لا يخف
 كزملائه الصحفيين محترفي الكتابة عن المناسبات الى الارشيف لينهل
 منه قصص البطولة والفداء ، وانما بمجرد ان يلمح صورهم يمثل امامه
 شبح الموت الرهيب الذي يشوه جمال الحياة « فالصبار نبت ، وترعرع
 فوق قبور الشهداء ، زوجاتهم كبرن ، واقتربت الشيخوخة من وجوههم
 .. لم يخلعن أبواب الحداد بعد .. » وفي قصة انتظار تطارده صور
 الاطفال الاربعة الذين غرقوا في النهر ، ويحاول ان ينسى ذلك بالالتقاء
 بالاصدقاء والانغماس معهم في الشراب ، والضحك ، ولكنه حين ينفرد
 بنفسه ينفرد به شبح تلك المأساة « اطفال يموتون قبل الاوان ، بدون
 سبب معقول .. » فالحزن الزائر الكئيب كثيرا ما يطرق عليه بسبب
 قوخته ، وربما صور له الوهم فقدانه لانسان عزيز عليه .. حتى اذا
 استيقظ غمره الفرح فكل ما رآه لم يكن سوى كابوس ثقيل .. بل ان
 فصل الربيع الذي اعتاد الناس ان يتصوروه فصل الحب والبهجة
 والشباب ، قد جاء لعبد الشاب الباسم .. بهدية لم يألها الناس من
 قبل ، فلقد جاءه بياقة من الضيق جعلته يأوى السى كهفه النفسي
 ملغفا بعباءة الاحزان .

وفي المجموعة الثانية (احزان الربيع) يثير اهتمامه عالم الطفولة
 النقي ، فيكشف عن اعماق زاخرة بالحب لهذه البراعم الصغيرة ، من
 ذلك قصة « العازفة الصغيرة » التي تنقل على مفاتيح البيانو اصابع
 رقيقة كجليور بفضاء ، وقصة « جرعة ماء » التي لا يفر فيها الابن تنكر
 والده له حين ترك امه . كما لم ينس الابدي التي حملته ، وطافت به
 القرية مهللة فرحة ، وحين طلب جرعة ماء امتدت اليه تلك الايدي بالماء
 والحب ، وذلك حين قرر الطب والقضاء الحاقه بوالده .. وقصة
 « الصبي والصيد » التي اشرنا اليها من قبل و « رزبلين » تلك القصة
 الرائعة ، فالشيخ عبد الستار صاحب دكانة ترزي العائلات يتسرك
 الدكانة لصبه عبده الطفل الصغير ، ويذهب ليؤدي صلاة الجمعة
 ولكنه يخشى ان يلتهم عبده سلطانية الرز بلبن « التي احضرتها له
 زوجته » بسمل قبل ان يترك الدكان ، والقي نظرة على صبيه ، واعتراه
 شيء من عدم الاطمئنان ، فهو يعرفه جيدا ، ريقه يتحلب لرائحة الطعام
 ابدا .. وفي تودد مصطنع اعطاه نكلة بعد ان فرز قروشا عديدة في
 كيسه ، وليامن شره اكثر .. قال له : خلي بالك من السلطانية يا عبده،
 اوغى تقرب لها احسن فيها سم .. سم قاتل ييموت .. وضحك عبده
 في سره ، وقال : حاضر يا معلمي . اتجه المعلم الى المسجد للصلاة ،
 تملكته عبده حوى الطفولة فحاول في البدء ان يفرده امامه ثوب احد
 الزبائن مقلدا المعلم في قص الثوب ، ثم لم يلبث ان جمع الثوب ، ووضعه
 في مكانه بالرف ، وجلس على ماكينة الخياطة .. ذلك السر الفاض
 بالنسبة له . وفجأة اعترته الدهشة فقد شاهد الابرة تعلقو وتهبط ،
 فامسك قدمه ، وصمت ، لقد ارتكب حادثا خطيرا هز اعماقه المنهارة ثم
 جرى تحت شماعة الملابس ، وليس جلابا جديدا لاحد الزبائن بعد ان
 راقه لونه الابيض الزاهي تحسس قماشه ، ووضع يده في جيبه ، مشى
 به مختلا داخل الدكان ، وبقي دقائق وقلبه يفيض بالفرح ، ما عباد
 اصعب قدمه يؤله ، ولا يفكر في ابيه او امه . كان يمشي في عالمه الخاص

الجميل وفي سرعة ففز الى الخارج ، ودار به حول الدكان ثم عاد سريرا
 فلقد لمح شخصا يشبه معلمه وبعد ان اطمأن الى انه ليس هو .. شعر
 بالجوع فاقترب من « سلطانية الرز بلبن » سوى سطحها باصبعه لحس
 ما علق به من لبن وارز ، ثم اخذ يفكر في حيلة يلجأ اليها بعد ان يلتهم
 السلطانية التي لم يستطع مقاومة اغرائها ، فكر ان يخفي القمص ويقول
 للمعلم انه ضاع ، فارتدت الانتحار باكلا « الرز بلبن » المسموم ، وقبل ان
 يشرح في تنفيذ فكرته ، سمع نحنة تعود عليها فقط السلطانية باحكام
 ثم جرى الى واجهة الدكان ينتظر معلمه .. وفي قصة « الفخ » يصور
 عمق غريزة الامومة حتى عند الحيوانات ، فالكلبة المدربة عزيزة تهرب
 ويحاصرها صف طويل من الصاكر شاهري السلاح ، ولكنها تآبى ان
 تخرج من السرداب الذي اختفت فيه رغم كل ما يقدم لها من وسائل
 الاغراء . فقد وضع لها الصاكر في الفخ دجاجتين مشويتين « والجوع
 يقرص امعاهما المرهقة . وكاد الجوع ورائحة الشواء ان يفريها بالخروج
 والوقوع في الفخ ولكنها قاومت ولم تستسلم . واخيرا ، وبعد مضي
 زهاء ثلاثة ايام على اختفائها عاد العسكري المراسلة يحمل لفة مغطاة بين
 يديه وصاح .

- اوهو يا بيه .

- قال الضابط : هاته

وبلهفة جرى الى الفخ واطلقه : كان جروا لطيفا افبش البشرة ،
 يحاول العواء كالكلاب الكبار فيبدو صوته منقطعاً كالمشمة المقطوفة قبل
 الاوان . وفي لمح البصر كانت الكلبة داخل الفخ تشم الجرو وتلحسه
 .. لقد ظهرت بوادر هذا الاحساس بعالم الاطفال البريء فسي قصة
 « صندل » في المجموعة الاولى ، فحين اختلس الجنيدى الوزه التي
 تزغها امراته لعاشوراء وعزم ان يذهب بها الى السوق ليشتري بثمنها
 بعض الكماوي ليرشها في حقل الذرة الذي يملكه - تعلق به ابنه
 درويش قائلا : انا عايز ادوح معك السوق يا بابا .

وعلى طول الطريق كان يسحبه في يده اليمنى ، محتضنا الاوذة
 على نصف صدره الايسر لافا عليها يده كالكماشة وفرفر درويش فاقد
 وعيه من الحر : رجلي بتسعني يا بيه .. ومر صديق فحمل درويش
 على الحمار . ومن على ظهر الحمار كان درويش يجذف في عالمه الخاص،
 فحين رأى افنديا يمتص حبة من المانجو كان يقالب نفسه كي لا يجابه
 اباه : انا عايز مانجة يا بيه .. واخيرا وصلا الى السوق وباع الجنيدى
 وزته باربعين قرشا ، وقبل ان ينحرف ليشتري الكماوي تصلب
 درويش يريد ان يرى الحاوي ، ثم عاد يطلب المانجو ولكن الجنيدى كان
 مشغولا بنفسه تمنى طاقة من الوبر تعيد اليه شبابه الفاني او رطلا من
 البن اليمنى او زجاجة من الفاويزة ليطغى بها جوفه الملتهب ، ولكن
 كل هذه الامنيات كانت تندحر حين يذكر الحقل والمحصول والري والربيع
 فدان الذي يحتاج للكماوي ، خاطر واحد ارتفع كالعلاق ، فبجسوار
 محل الكماوي التمتت امامه صنادل العيال براقه ، خلافة ، وعلى مهل
 كان درويش ينكس رأسه ، ويعبث باصابعه في الاحذية ، وبربع نظرة
 ملتوية الى الصنادل اللميعة قال في خبث : الارض بتسعني يابه ..
 اشيلك .. لا .. عايز صندل ، وفي عزم انعطف الجنيدى نحو الصف
 الطويل من الصنادل الملقة ليدس في قدم درويش واحدا منها ..
 يتختر به في القرية امام الاطفال .

هذه هي الجداول التي يستمد منها الكاتب موضوعات قصصه ،
 وقد ان لنا ان نقف وقفة متأنية قليلا لنستكشف أسلوبه في تناول
 او لتتصرف على سر صنعته . لقد اعطانا مفتاح عالمه الخاص حين قال
 في قصته « عبر النار » التي كان البطل فيها يبحث عن موضوع لقصته
 « لا بد من خلط الواقع بالخيال » اللحظة الحاضرة بلحظة الحلم ،
 التفاصيل بالفكرة العامة التي تصب في مجرى النهر الواهم نهر الانسان
 المغلوب على امره .. وليس ما يقوله الكاتب بالشيء الغريب على كتاب
 القصة بل هو استفادة من أحدث ما وصل اليه التكنيك الحديث في
 كتابتها .

يقول الدكتور طه محمود طه في كتابه القصة في الادب الانجليزي

الى السادة الادباء

لا يزال بعض الادباء الكرام الذين يتعاونون مع « الآداب » يرسلون المادة النثرية نفسها التي يوافقون بها المجلة الى مجلات اخرى في وقت واحد ، او بعد مضي زمن قليل ، فيحدث ان تنشر هذه المادة في « الآداب » وفي مجلة اخرى في الشهر نفسه او في شهرين متتابعين .

وتجد رئاسة تحرير المجلة نفسها مضطرة الى تجديد التنبيه الى ان المجلة ستمتنع بعد الآن عن نشر اي مقال او قصة او قصيدة يتبين ان صاحبها يلجأ الى هذا الاسلوب .

قصة « موت بائع جوال » .

يقول الشاعر الروسي « افوشنكو » : « واصبحت مولصا بالتصوير ، وقد حولت كل دخلي الى لوحات فاصبحت الآن حوائط شقتي مظاة بأعمال من كل المدارس ، الواقعية ، والتعبيرية ، والسريالية ، والتجريدية وهي تعيش في جوار حسن ، وهذه اللوحات تلازمني كالاصدقاء ، وكثيرا ما يدور بيني وبينها حديث صامت » ، وكذلك يفعل الاستاذ فاروق ، فشخصية القصة قد تتحدث مع النحلة كما في قصة « جبال بلا ذكريات » كما يكلم عنبر اباه الميت في هذه القصة ، ويتحاور مع الشاعر ناظم حكمت في زائر الصباح ، وممع مريض المستشفى العقلية في « زيارة » .

وإذا كانت عملية خلع الحياة على الجمادات ، واللغة على الحيوانات ، والفاء المسافات المكانية والزمانية بين الموجودات انما تتم في لحظة التوتر الشديد او في قمة هذا التوتر التي يختلط فيها الواقع بالخيال والوهم بالحقيقة كما في قصة « زائر الصباح » فان الكاتب قد استهواه هذا الاسلوب الجديد .. فزوج به في قصص لا يتوفر لها هذا التوتر والانفعال مما يجعل القارئ يحس بأنه نشاز يمكن بتره والاستثناء عنه ليستقيم بناء القصة ، من ذلك الحوار الطويل الهش الذي اجراه مع الكلبة في قصة « الفخ » ومن الملاحظ أن الحوار - عامة لدى الكاتب - كثيرا ما يجانبه التوفيق ، اذ يقع في النمطية والتعبيرات المألوفة ، ولا يتوفر فيه شرط التركيز أو التكثيف ، فالقصة الحديثة تميل الى الاهتمام بالكلمة والعبارة وكأنها عالم صغير . وكما يقول « آزرا باوند » « ما الادب العظيم الا لغة مشحونة بالمعاني التي القصى درجة » وعلى كل فالكاتب ككل كاتب طموح يجرب ، ويجرب السى أن يستقر على أسلوب بذاته . لذلك نجد كثيرا ما يحاول كتابة الحوار باللغة العربية حيناً ، وباللغة الثالثة - العام عربية « حيناً آخر ، وباللغة العامية في بعض الاحيان .

وإذا كانت القصة القصيرة اقرب الفنون الادبية الى الشعر ، فان

« واصبح جريان الفكر وسيولته او ما يعرف بتيار الوعي يكونان العمود الفقري في آية قصة حديثة . واستعمل القصاصون في ابراز هذه النزعة التجديدية طرقا سيكلوجية عديدة منها المونولوج الداخلي ، والمونولوج الصامت ، ورموز العقل الباطن ، ودلالات رموز الاحلام ، واحلام اليقظة والتي يجلبها الاجهاد والنعاس أو الخمر والمخدرات ، ونفذ الاديب من ابواب الحس الادراكي الى متهاتات العقل الباطن واللاشعور » ص ١٤٩ . وتقول « فرجينيا وولف » لا بد للقصة من ان تسجل الافكار التي تشبه الذرات وهي تتساقط الواحدة تلو الاخرى على العقل » ص ١٥٣ ، ولقد استغل الكاتب المونولوج الداخلي في اكثر ما كتب ، لان أبطال قصصه مطحونون ، ويمانون ظروفا قاسية في الحياة ، كما يخفقهم الزيف والنفاق الذي يعيشون فيه ، لذلك كثيرا ما يلجأون الى القوقعة ، قوقعة الذات ، ليختبئوا فيها بعيدا عن هذا العالم المتصارع يرقبونه في توجس ، كما قد يهربون الى بستان الاحلام ليستعصموا به عما فقدوه في عالم الواقع ، كما في قصة « هروب » : « واغنى قليلا على قائمة كرسي امامه .. عاد الى البيت . استقبله اولاده فرحين على وجوههم بشر جديد لم يالفه من قبل ، يلبسون اثوابا بهيجة مفرحة ، في اقدامهم احذية موشاة بالخضرة والذهب ، رأى زوجته كأنها عروس في سن العشرين .. واستيقظ على يد الجرسون توظفه من غفوته » ص ١٠٤ وهو في ذلك ينتقل دائما من شيء محسوس خارجي الى شيء مشابه له في عالمه النفسي وهو ما تعارف عليه علماء النفس بتداعي المعاني « وهز الكلب ذيله فهزت الاشواق « عنبر » لذكرى ابيه . انكشفت له احزانه التي كان يخفيها عنه ، كره صوت أمه الذي عجل بموته ، وشعر بحنان على كلبه زين . كان أبوه يثق به ، يشكو له آلامه .. قال للكلب الخ .. وهبت بعض النسيمات اللطيفة من شاطئ البحر فملأته بحلاوة الاقدام على المفامرة .. كل الذين يقولون « لا » يتعبون » . وكما ينتقل من الخارج الى الداخل النفسي ، قد يحدث العكس ، فالشعور النفسي يفيض على ما حوله ، ويلونه بلونه ، وهذا شيء مالوف في الشعر ، والقصة القصيرة تلتقي بالقصيدة في هذا اللون ، كما تلتقي معها في العبارات الكثيفة والصور السريعة . يقول بطل زائر الصباح : وماذا ترك لاولادنا ؟ فيجيبه الآخر : لا شيء سوى الحب في تلك الحياة ، لا ينتظر منا اولادنا .. ولا مجدا ولا مالا « وهبت نسيمات لطيفة من البحر ، وصفق طائر بجناحيه فوقنا .. »

لقد اضفى هذا الاسلوب الحالم على قصص المجموعتين ، وبخاصة المجموعة الاولى ، نوعا من التشويق والجازبية اذ اتاح للكاتب فرصة التنقل والسرعة في تسجيل اللقطات من افوار النفس آنا ، ومن الطبيعة آنا آخر ، كما مكنته من تتبع الحياة النفسية للشخصية وتسجيل ملامحها تسجيلا ليس فوتوغرافيا ، وانما تسجيلا نابضا بالحياة والمعاناة . والكاتب بطبيعته يميل الى التعبير حتى في الحوار غالبا باللغة العربية الفصحى ، وقد اعانته الحديث مع النفس على ذلك . لهذا ترى عددا من شخصيات قصصه رغم انهم ناس لا يتعاملون في حياتهم بعملة اللغفة الفصيحة يدبرون حديثهم اوهاجسهم النفسي بها ، كما مكنته ذلك من الفاء الزمن الميكانيكي والاعتماد على الزمن النفسي المتداخل .. أي الزمن الذي لا توجد فيه أية فواصل بين ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، كما يحدث في الحلم والكابوس ، كما يعمل على تحطيم التناقض الجامد في بناء العمل الفني « يقول هكسلي » « ان الموتى وحدهم يتصرفون على نسق واحد ثابت ص ١٦٣ » لان كل احساس او شعور او لحظة من لحظات الوعي تختلف عن الاخرى .. وفي عالم الهواجس النفسية الحاملة يستطيع الكاتب ان يث الحياة في الجماد ، ويمسح الحيوان موهبة الكلام .. واذا كان تشيكوف في قصته شقاء « يقول للفرس » كان ينبغي ان يكون ابني هو الذي يقود ، لا أنا ، كان ينبغي ان يعيش ، لقد ذهب ، قال : وداعا .. ذهب ومات دون ما سبب ، تصوري ان لك مهرة صغيرة وكنت أنت أمها ، وفجأة ذهبت وماتت ستاسفين عليها ، ليس كذلك ؟ لقد خاطب الفرس حين عجز عن ان يجد من يصفي له من الناس نعم ان تشيكوف لم ينطق الفرس . كما فعل ارثر ميلر .. في

تسجل تعليقات راكبي الترام على الخبر المنشور في الصحيفة عن انتحار درويش ، كاشفا كل منهم عن عمله وثقافته من خلال التعليق على هذا الخبر دون أن يكون لاحدهم سابق معرفة بهذا الدرويش ، واحد فقط هو بطل القصة او الراوي الذي يعرف الكثير عنه . مما لو عرفه الناس لقدروه وعطفوا عليه فاصحاب الوجوه الزيتية - على حشد تعبير الكاتب - يدينونه فمن قائل : انه مجرم محترف - وقائل : ان هؤلاء الدراويش سيئون الى المجتمع . وهو بخلاف كل ذلك ، فلقد كان طالبا خجولا تشع حلاوة الطفولة من عينيه وتبزغ ابتسامته مشرقة من وجهه الصغير الرقيق . ثم اضطرنه الظروف فترك الدراسة وتعلم قيادة السيارات ليشق طريقه في الحياة . وحين رأى بلاده تقاتل الانجليز في القتال تطوع مع الفدائيين ثم عاد بلا ذراع . وبذراع واحدة خرج حنين وهذا هو اسمه - يبحث عن عمل لكنه لم يوفق فالوطنية لا تمن لها ولا جزء في بلد محتل . وضافت عليه القاهرة فلم يجد مكانا أميناً يستريح فيه سوى الحسين . استند على جدار المسجد ومد ذراعه المقطوع ، واخفى وجهه حتى لا يراه احد ... جاءه انسان يطلب منه حجابا كتبه له ، فجاء ثاب وثالث ... لكنه قد ضاق بالحياة التي اضطرتة الى ذلك . لم يكن في قلبه الا هتاف واحد : لسم تعد الارض تنسع للشجعان .

ورغم اكتشاف الكاتب لهذا الاسلوب الرائع الذي يمنح القصة رحابة وتنوعا ، الا أنه كثيرا ما يهمل الاستفادة منه : ففي قصة «خيال» نجد التلاميذ جميعا يقفون مع ناظر المدرسة ضد المدرس ، ولم يرتفع ولو صوت واحد ليعارض مما يجعل القارئ يشعر بالسخط على هؤلاء الاطفال الصغار ، وكذلك في قصة « ذكريات قديمة » فالقراوي يتهم من الطلبة جميعا بالخيانة لانه كما تصوره الشائعات - قد اتصل بالبوليس ، واطلعهم على ما عزم عليه الطلبة من اضراب احتجاجا على ما صرح به وزير خارجية بريطانيا من انه لا يمكن التخلي عن قناة السويس ، ورغم أن هذه مجرد شائعات وظنون فقط فاننا لا نجد طالبا واحدا يدافع عن هذا الطالب المحاصر .

قد يشفع للكاتب ما يقال من أن الجماهير حين تحتشد تصرف وفق ما تمليه عليها وجداناتها فقط او كما يقولون : الجمهور لا عقل له . واخيرا فمن حسنات الكاتب التزود لكل قصة بالمعارف الضرورية لها ، فحين يتعرض لرسم شخصية الخفير عبد النبي في قصة القمح يروعا الكاتب بمعلوماته عن الاوامر التي يتلقها الخفراء اثناء فطرة التعليم ، كما نجد ذلك في قصة اول طفلة اذ نجد لديه الامام الكافي بأجزاء البندقية وطريقة التنشين .

والحق ان الاستاذ فاروق منيب قد زاد من شعورنا بشغل التبعة التي نعملها تجاه ادواتنا التعبيرية اذ ادركنا من خلال عمليه هذين مدى اخلاصه لفننه ومدى الجهد الذي يبذله في سبيل اكتشاف ذاته ، والتعرف على ما حوله ، وفي سبيل ما يصبو اليه من الانفراد بأسلوب جديد ينقل به الى القراء ما تموج به نفسه من افكار ومشاعر .

كيلاني حسن سند

منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجددار

فاروق منيب كان شاعرا في الكثير من قصصه ، فلقد اعتمد على الابعاء - والاشارة - باللمحة الخاطفة ، والابماء الذكية مما جعل بعض قصصه تحتاج لآثر من قراءة حتى تكشف للقارئ عن عطنها كما في قصة « العازفة الصغيرة » التي لا ندرک الا بعد جهد ان هذه الزهرة التي يحدث عنها ابنته هي زهرة الحرية او الاشتراكية او غيرها من معاني الخير للانسان ، وكما في قصته « زيارة » التي تتعاطف معها تعاطفا وجدانيا دون ان تكتمل لنا صورة الحدث او ترسم واضحة في اذهاننا ، وفي سبيل التعبير باللغة الشاعرة سلك طريق الرمز ، بل قد ضمن القصة قصة رمزية بداخلها كقصة العاشق الولهان التي تخلت قصته الرائعة « زائر الصباح » من ذلك استغلال التوتة رمزا للعودة الى الوفاق والالتقاء اذ ان الزوجين التقيا عندها مرة ، وخيال الاب يرمز عنده الى الشيء القديم المألوف الذي لا يرغب في الجديد كما في قصة « عنبر » . ولقد قال علماء نفسه من قبل ان « الاب » قد يرمز الى السلطة وكل ما هو رادع ، بل لديه قصص كقصة « النفاحة » من قبيل القصص الرمزية ان صح هذا . فهو يهرب من ملالة الحياة ، وزيفها الى بستان وهمي يلقي فيه بمناعبه وهمومه حيث تتساقط الثمار من حوله ، « وقت القروب يطبع البستان بهدوء حالم ، العصفير تسكن في اعشاشها ، مياه النهر الصغير غامت تحت ظلال الاشجار الدكناء ، ثم شبح الحارس يلقي علي ثقله ، الحان القنوط تدب في وجداني ، الفرحة تضم في صدري ، الوحشة تملا نفسي ، العودة للخارج تحزني » لقد امدد الريف الذي حنى على طفولته بالكثير من الصور الفنية بالدلالة والابعاء . وفي قصة « زائر الصباح » التي عايش فيها خيال الشاعر المعروف ناظم حكمت نلمس تلك الروح الشاعرة واضحة في اسلوبه ولعل هذا يعط لنا السر في اهتمام الكاتب بقراءة الشعر ، ونقده ، وفي هذه القصة يفاجئنا لأول مرة بحوار شعري موزون كتبه باللغة العامية . كما يضمن احدي قصصه جزءا من موال شعبي يزيد الحدث عمقا واتساعا كما في قصة « جرعة ماء » .

ولعل ذلك ينقلنا - بالضرورة الى مفردات اللفة التي يكتب بها فنجد قد اعطى نفسه حرية التصرف فيها فهو يصوغ قصصه بعبارات مشرقة أخاذة ، امتاز بالانسانية ، وتكثر فيها الجمل المتقطعة التي لا تترايط فيما بينها بحروف العطف مما يتلادم مع النقلات والانعطافات النفسية في داخل مسارب الذات .

ولقد استعمل كثيرا من الكلمات العامية في الحوار والسرد ، ووفق في مزجها باللغة الفصحى حين لا تكون له مندوحة عن ذلك بسبب ما يتوفر للكلمة العامية من خصوبة في الدلالة وغنى في الابعاء لا يتوفر لمرادفها الفصحى ، من ذلك : فحين رأى الازوة الثمينة التسي تزعظها امرأته لماشوراء .. وعكمها في هذه المرة « وفر فر دويش فاقد وعية » اعترته الشفقة فناداه وطبطب عليه ، وهو يكتب الحوار باللغة الوسط او اللفة التي دعا اليها توفيق الحكيم ، وكتب بها بعض اعماله ، والتي يمكن أن تقرأ فصيحة وعامية .

ولقد استطاع ان يكسب قصصه بعض الابعاد الواسعة بتوفيقه في الاستفادة من عنصر التقابل والمفارقة وما تثيره من كشف لما في الحياة من تناقض ، وهي اثر من آثار العرض السينمائي في القصة كما في فيلم زوربا اليوناني ، اذ بينما يرى المشاهد الفلاحات وهن يختلن او ينهن الاشياء التي تركتها العجوز التي توفيت اذ بالكاميرا تنتقل لتسقط .. فجأة على حقل أخضر يموج في خيلاء تحت هبات الريح الوانية .. وفي قصة « بلا ذكريات » - وهي من اروع قصصه - نجد البطل بينما يتجه بنظره الى المكان الذي مات فيه والده (انهم نادوه في الصباح فلم يرد ، وجدوا بجواره كوبا مملوءا بالماء ، وبقايا سيجارة لم يتمها بعد) اذ به ينقل البصر الى المكان المقابل الذي ولدت فيه ابنته .. والذي يفرح به كلما رآه .. كما يستغل المفارقات الموجودة كثيرا في الحياة كما في قصة الزائر الكئيب « فالوت يزحم على الناس حياتهم . وفي الشارع نجدهم يتصارعون ويتقاتلون على فئات الحياة ، ونرى ذلك أيضا في قصة الانسان والتمثال وقصة « ابو ذراع » التي